العيد في يافا

لا تحزني يا أمّ إنْ طَلَعَ النهارُ بلا ضياءْ !!
وأطلّ وجهُ العيد مختنقا خريفيّ الرواءْ !!
العيد غيّب إخوتي ... والعيد عاد بلا رجاءْ !!
لا عيد يا أمّي و « يافا » خلف أسوار الشقاءْ !!

*

العيد في « يافا » مَريرٌ لاابْتِسامَ ولا صَفاءْ
الصمت يَنْهَشُ قلب « يافا » لا نشيد ولا غناءْ
لا بَسْمَةٌ فوق الشفاهِ ولا صلاةَ ولا دعاءْ
الحزن عملاق رهيبٌ سدّ أبواب السماءْ

*

أطفالنا يا أمُّ ما لَبسُوا الجديد ولا القديمْ !!
أسماؤهم تخشى النهار .. تودّ تختنقه الغيومْ
الفرحة اختنقت بأعينهم وغشّاها الوجوم
الليل أشْرَعَ مُديَةً سوداءَ واغتال النجوم
الليل تنّينٌ ينام على البيادر والنخوم
أظفاره في قلب يافا والجليل وأورشليم
عيناه مذبحتان تنتفضان بالغدر اللئيم
الليل والتنين والأغلال في « يافا » تهيم

*

العيد في « يافا » شريد كالعدالة والسّلام !!
في قلب « شيكاغو الجديدة » حيث يحتشد الظلام
العيد في « يافا » شريد كالمحبة والوئام
في قلب ناطحة السحاب بعالم البيض الكرام

*

« يافا » التي غنّى بها يوماً صِبَايَ وما يَزَال
وتراقصَت فيها لياليَنا مُجَنّحة الظلال
البحر يدعونا فنَستَبِقُ الخطا فوق التلال !!
ونعود خلف فراشة والشمس تعبث بالرمال
« يافا » التي تجري بأعماقي وتسبح في الخيال
المرفأ الحلو الحنون وخيمة من برتقال !!
« بَيّارتي » شحرورها ولّى وجافتها الظلال
البوم في يافا يهيم مع اليهود والاحتلال

*

في ليلة العيد الحزين ذكرتُ مأساة الرحيل !!
وأبي ومصرعه ونظرته الأخيرة في ذهول
ونداء أختي ما يزال يرنّ في قلب السهول
« الجند .. أدرِك يا أخي ... النار تفترس الحقول » !!
« الجند يغتالونني ... أيديهمو امتدت الى جسمي النحيل »
« عرضي وعرضك يا أخي قد داسه اللصّ الدخيل »
ما زال يا أختي يرنّ صداكِ في ليلي الطويل !!
وحطام منزلنا ونخلتنا ومرعانا الظليل
ودموع أمي لم تزل تدعو لثأر أبي القتيل
ما زِلتُ يا أختي أراكِ وأذكر اليوم الحزين !!
إني أراكِ وأنت في أيدي اللصوص تعذّبين
وتحاولين بأدمع خرساء ردع الظالمين !!
وتمزقين يد الصوص وهم بجسمك يعبثون !!

*

زرع الطغاةُ لنا الردى والصمت والحزن الدفين
وزرعتُ يا أختي لهم في قلبي الوحش اللعين !!
الحقدُ يا أختي يُدَمدمُ .. لا تنام له عيون !!
أطعمتُ هذا الوحش دمع أبي ودمع اللاجئين
وسقيته ذكراك ذكرى التائهين الراحلين

*

أمّاه .. بالدم والكفاح المرّ والزاد القليل !!
سنحيل « تلّ أبيب » عاصمة المناحة والعويل
ويعود جيش اللاجئين يحطم اللصّ الدخيل
وتعود « يافا » والربيع وعيدنا الحلو الجميل
أمّاه في غدنا لنا عيد سعيد لن يزول ..

مصر — سعد دعبيس